

تفسير البحر المحيط

@ 294 @ انتهى . فيكون على هذا القول : آمنوا على حقيقته . .

{ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ۖ وَلِيَّائِهِمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ
إِلَى الظُّلُمَاتِ } قال مجاهد ، وعبد بن أبي لبابة ، نزلت في قوم آمنوا بعتسى ،
فلما جاء محمد عليه السلام كفروا به ، فذلك إخراجهم من النور إلى الظلمات . .
وقال الكلبي يخرجونهم من إيمانهم بموسى عليه السلام واستفتحهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
(إلى كفرهم به ، وقيل : من فطرة الإسلام ، وقيل : من نور الإقرار بالميثاق ، وقيل : من
الإقرار باللسان إلى النفاق . وقيل : من نور الثواب في الجنة إلى ظلمة العذاب في النار
، وقيل : من نور الحق إلى ظلمة الهوى . وقيل : من نور العقل إلى ظلمة الجهل . .
وقال الزمخشري : من نور البينات التي تظهر لهم إلى ظلمات الشك والشبهة . .
وقال ابن عطية : لفظ الآية مستغن عن التخصيص ، بل هو مترتب في كل أمة كافرة آمن بعضها
كالعرب ، وذلك أن كان من آمن منهم فإليه ، أخرجه من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان ،
ومن كفر بعد وجود الداعي ، النبي المرسل ، فشيطاناه ومغويه كأنه أخرجه من الإيمان ، إذ
هو معد ، وأهل للدخول فيه ، وهذا كما تقول لمن منعك الدخول في أمر : أخرجتني يا فلان من
هذا الأمر ، وإن كنت لم تدخل فيه ألبته . انتهى . .

والمراد بالطاغوت : الصنم ، لقوله : { رَبِّ إِنِّي نَسَّيْتُ أَصْنَانِي كَثِيرًا مِّنَ
الَّذِينَ اسْمُهُمُ الطَّاغُوتُ وَأَسْمُهُمْ جَنَسٌ . .
وقرأ الحسن : الطواغيت بالجمع . .

وقد تباين الإخبار في هاتين الجملتين ، فاستفتحت آية المؤمنين باسم الله تعالى ، وأخبر
عنه بأنه ولي المؤمنين تشريفاً لهم إذ بدى في جملتهم باسمه تعالى ، ولقربه من قوله : {
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } واستفتحت آية الكافرين بذكرهم نعيّاً عليهم ، وتسمية لهم
بما صدر منهم من القبيح ثم أخبر عنهم بأن أولياءهم الطاغوت ، ولم يصدّر الطاغوت
استهانة به ، وأنه مما ينبغي أن لا يجعل مقابلاً لله تعالى ، ثم عكس الإخبار فيه فابتدء
بقوله : أولياءهم ، وجعل الطاغوت خبراً . كأن الطاغوت هو مجهول . أعلم المخاطب بأن
أولياء الكفار هو الطاغوت ، والأحسن في : يخرجهم ويخرجونهم أن لا يكون له موضع من الإعراب
، لأنه خرج مخرج التفسير للولاية ، وكأنه من حيث إن الله ولي المؤمنين بين وجه الولاية
والنصر والتأييد ، بأنها أخرجهم من الظلمات إلى النور ، وكذلك في الكفار . .
وجوزوا أن يكون : يخرجهم ، حالاً والعامل فيه : ولي ، وأن يكون خبراً ثانياً ،

وجوزوا أن يكون : يخرجونهم ، حالاً والعامل فيه معنى الطاغوت . وهو نظير ما قاله أبو علي : من نصب : نزاعة ، على الحال ، والعامل فيها : لظى ، وسنذكره في موضعه ان شاء الله . و : من ، و : إلى ، متعلقان بيخرج . .

{ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } تقدم تفسير هذه الجملة فأغنى عن إعادته . .

وذكروا في هذه الآيات أنواعاً من الفصاحة وعلم البيان ، منها في آية الكرسي : حسن الافتتاح لأنها افتتحت بأجل أسماء الله تعالى ، وتكرار اسمه في ثمانية عشر موضعاً ، وتكرير الصفات ، والقطع للجمل بعضها عن بعض ، ولم يصلها بحرف العطف . والطباق : في قوله { الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ } فإن النوم موت وغفلة ، والحي القيوم يناقضه . وفي قوله : { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ } والتشبيه : في قراءة من قرأ { وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ } أي كوسع ، فإن كان الكرسي جرماً فتشبيه محسوس بمحسوس ، أو معنى فتشبيه معقول بمحسوس . .

ومعدول الخطاب في { لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ } إذا كان المعنى لا تكرهوا على الدين أحداً . والطباق : أيضاً في قوله { قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ } وفي قوله : { ءَامَنُوا * وَكَفَرُوا } وفي قوله { مِنَ الظَّالِمَاتِ إِلَى النَّارِ } والتكرار : في